تأثير العقم على الأزواج من الناحية النفسية نظرة تحليلية للأسباب والآثار النفسية للعقم على المرأة و الرجل

أ. رشيدة سبتي
جامعة الجزائر 3

مقدمـــــــة

بما أن أي إرتباط بين المرأة و الرجل، يتمنون أن يكون مثمرا بإنجاب الأولاد ، و هذه الغاية مشتركة بين جميع الأزواج لذلك فإن معرفة إحداهما أو كلاهما بأنه عقيم هو أمر حزين و مؤلم.

و يعد العقم من أوجه النقص التي تلحق بالشخصية ، هذا الحكم القاسي فضلا عن الضرر المعنوي للعقم من المؤكد أنه يحدث خللا في التوازن النفسي للفرد سواء أكان رجلا أو امرأة.

لكن حدة المشكلة تختلف من الرجل إلى المرأة أو بالأحرى من الزوج إلى الزوجة ، فالمرأة مهما كانت مواصفاتها فإن هذا العجز عن الإنجاب يوصلها أحيانا إلى مرحلة الإنتحار البطيء بسبب فشلها في تحقيق أهم وظيفة في حياتها حسب ما يحدده المجتمع.

و حتى كلمة (عاقر) من الناحية اللغوية معناها الشيء العاجز،المتكسر، غير الصالح ، و هذا يفسر قساوة المفهوم في حد ذاته و هو الأمر الذي يضر بالصحة النفسية للمرأة.

ففي اللاشعور الإجتماعي غالبا ما يكون مستعدا لقبول فكرة أن الرجل غير مسؤول عن العقم و هذا يؤكد ضمنيا تحامله على المرأة و قبوله لفكرة أنها هي المسؤولة الأولى عن مثل هذه المشاكل. و هذا ما يلمح كذلك إلى فكرة إصرار المجتمع على صورة الكمال عند المرأة بينما الرجل له أن يكون سكيرا عقيما... فالمشكلة بالنسبة للرجل أقل حدة لأن هناك إستعداد من المجتمع لتجاهل عجزه و تفتح له المجال لتعويض نفسه في مجلات عدة.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الرغبة في الإنجاب من الناحية النفسية

الرغبة الشعورية في الأطفال عادة ما يطبعها تجاذب وجداني، ففي بعض الحالات يكون تعبير الأزواج عن هذه الرغبة مبتذل فنجدهم يرغبون في طفل لأنه ضرورة من ضرورات الحياة.

أما في الحالات الأخرى تكون الرغبة في الأطفال لأجل تحقيق رغبات معينة، فالفرد يرغب في أن يُحَبَ و يُحِبَ و يرغب في الإمتثال لمعايير مجتمعة من خلال الإنجاب رغبة منه في أن يقيمه مجتمعه.

كما يرغب الفرد من وراء تأدية وظيفة الإنجاب مقاومة القلق و بعض المخاوف، كالخوف من الوحدة و الشيخوخة و الملل و قلق الموت إضافة إلى وجود بعض الأفراد الذين يريدون عيش طفولتهم مرة ثانية من خلال الإنجاب .

فيظهر لنا مما سبق أنه غالبا ما تكون الرغبة في الطفل لا تتعلق بالطفل في حد ذاته، فهو يظهر كأنه آلة يرغب في إستعمالها لتحقيق رغبات شخصية

فالطفل المرغوب فيه قد يكون في هوامات الأفراد على أشكال مختلفة :

الطفل اللعبة : حيث يكون نوع من الدمى الحية التي تشكل نموذج لأم صبيانية.

الطفل الأمل: الذي يمكن أن يجلب سندا عاطفيا أو إقتصاديا للأبوين عندما يكبران.

الطفل الدليل : على الرجولة و الأنوثة.

الطفل السلاح: الذي يستعمل من أجل الحصول على الرجل المحبوب،أو من أجل التمسك بهذا الأخير أو من أجل إصلاح علاقة زوجية سيئة.[1]

الرغبة في الإنجاب من الناحية النفسية عند المرأة

يقول الدكتور عدنان السبيعي : " أن الأمومة تشغل بال المرأة و هي تستغرق حياتها الشعورية و غير الشعورية منذ أن يتفتح وعيها على الحياة " [2].

تمر الفتاة بعدة مراحل للوصول للأنوثة التي تكتمل بتحقيق الأمومة. تنتظر الفتاة بفارغ الصبر الوصول إلى هذه المرحلة، و هي قبل ذلك تجسدها في هواماتها و لعبها, بأن تأخذ الدمية كطفل لها، و تحاول نزع

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الأخ الأصغر من أمها لتعتني به، و كأم ترى أن هذا يعطي معنى على حياتها و تحدد لها أهداف جديدة، فهي تولد مع طفلها فالإنجاب هو التحقيق الأول للذات.[3]

و تؤكد الباحثة « H . Deutsch »، بأن الأمومة فرصة لا مثيل لها بالنسبة للمرأة حتى تبين شعورها الوجودي.

و يكشف التحليل النفسي تأثير اللاشعور على سيكولوجية الأمومة و الذي يرى أنها لا تحدد فقط بعوامل ثقافية و لكن هناك صراعات غير محلولة في ماضي الأم و التي تبحث عن حل و إشباع لها في الأمومة . كما أن هناك قوى لا شعورية متعددة تساهم في إنعاش الأمومة، من الناحية النفسية و كذلك تساهم في نمو سوي لطبيعتها، كل هذه القوى يكون مصيرها التصعيد ميول و نزاعات من طبيعة جنسية تتحول إلى عاطفة أمومية و العدوانية تتحول إلى نوع من الحماية .[4]

كما يؤكد الباحث « Georgin »، بأن كل إمرأة تحلم أن تصبح أما مثل أمه.[5]

أما « R-PERRON »، فيؤكد في فكرته على الوحدة بين الوظيفة البيولوجية و النفسية للإنجاب فالطفل إنجاز المرأة بيولوجيا و نفسيا" .[6]

فالرغبة في الأمومة هي الرغبة الأشد تأصلا في الحياة النفسية للمرأة منذ طفولتها إلى شيخوختها، فالأمومة تسع كل الحياة النفسية للمرأة إلى حد تفقدها مميزاتها الفردية، فهي مشبعة بالفطرة الأمومة .[7]

و لنتصورهنا المعاناة النفسية التي تعيشها المرأة التي لم تستطع تلبية هذه الغريزة.

الرغبة في الإنجاب من الناحية النفسية بالنسبة للرجل

يعتبر خلف الأطفال بصفة عامة ذو قيمة أساسية كبرى في حياة الرجل، فهم مصدر ضمان الأسرة على حفظ ممتلكاتها و تخليدا لإسمها، و هم كذلك موضوع التفاخر و التباهي لأنهم يعبرون عن حيوية الزوج و رجولته الكاملة، و عن خصوبة الزوجة الحقة .[8]

و إنجاب الأطفال يعزز مكانة الرجل و مركزه داخل مجتمعه.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فالأطفال لهم قيمة تنافسية ، إذ يتباهى الأزواج بخصوبتهم من حيث كونها إظهارا للقوة الجنسية و الرجولية و الأنوثة. و هي تصور مشترك بين الرجال و النساء لكل تصوره الخاص بضرورة هذه الوظيفة و ما سوف يعود عليه من نتائج داخل مجتمعه لترسيخ مكانته و بناء شخصيته و تحقيق ذاته.فضرورة تلبية غريزة الأمومة و الأبوة سيان عند المرأة و الرجل.

الأسباب النفسية للعقم عند الزوجين

إن العديد من حالات العقم لا يوجد لها تفسير واضح من الناحية الطبية، و قد تدخل الطب النفسي ليدرس العوامل و الإضطرابات التي تسود العلاقة الزوجية لعله يظفر بجواب.**فبالنسبة للمرأة** إنطلق الطب النفسي من الفرضية القائلة أن الآلام النفسية و التعب النفسي هي إحدى العوامل المسببة للعقم. و هذا ما يفسر إزدياد حالات الحمل بعد أن يحدث التبني، أي عندما يحدث الإستقرار النفسي.

كما أن البحث عن العقد النفسية المرتبطة بالأمومة و الأسرة من خلال العلاج النفسي قد أدى إلى الخصوبة و الحمل و من بين العوامل النفسية المؤثرة على الإنجاب نذكر:

_ **البحث عن ذنب قديم** : فمن الواضح أن بعض الأزواج و الزوجات ينظرون إلى ماضيهم الشخصي بحثا عن ذنب أو عمل قد إرتكبوه كي يفسروا حالة العقم عندهم. و قد يرتبط ذلك ببعض الأمور النفسية مثل تأنيب الضمير و عقد الذنب.

_كما أن المجتمع و قيمه العامة تنظر سلبا إلى فشل الزوجين في إنجاب الأطفال حيث يعتبر ذلك نوعا من عدم الكفاءة الشخصية. إضافة إلى إعتبار العقم نوعا من الوصمة السلبية و أبسط دليل على تأثير العوامل النفسية على وظيفة الإنجاب هو إضطراب الوظائف الجنسية المتعلقة بالجماع الناتج عن أسباب نفسية.

_هناك العديد من هرمونات الجسم تتأثر بالتوتر و الحالة النفسية عند الإنسان و منها الهرمون المحرض للرحم و غيرها و هذه الهرمونات تؤثر على الهرمونات الجنسية التناسلية في منطقة الدماغ الإنساني، و هذا يؤثر بدوره على إنضاج البويضة.[9]

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

كما رأينا فإن المرأة العقيم، ربما تكون لديها بعض الإضطرابات الإنفعالية التي يؤخر الحمل. و تأخير الحمل يجعلها أكثر إضطرابا . و كلما طالت سنوات الإنتظار للحمل، كلما زادت إضطرابا و قلت فرص حملها. و هكذا تدخل في دائرة مغلقة تجعل فرص الحمل قليلة جدا و تحتم كسر هذه الدائرة و ذلك بإعادة الإستقرار للمرأة إلى المستوى الصحي اللازم لهذه العملية الدقيقة.

أما **بالنسبة للرجل** فيلعب القلق و الإضطرابات النفسية دورا هاما في التقليل من خصوبة الرجل، كما أن تأخر عملية الإنجاب تزيد من التوتر النفسي مما يؤدي إلى الدخول في حلقة مفرغة من هذا القلق و تأخير الإنجاب. من جهة أخرى يؤدي القلق إلى زيادة الإفرازات الهرمونية و الكيمياوية و التي تؤثر على كفاءة الخصية في إنتاج الحيوانات المنوية. و تؤدي الإضطرابات النفسية إلى زيادة نسبة هرمون(السيروتونين) في الدم مما يؤدي إلى حدوث شيخوخة مبكرة للخصية نتيجة لضعف كمية الدم التي تصل إليها و تقل عدد الحيوانات المنوية و حركتها. و كذلك يؤدي إلى ضعف النشاط الهرموني .

تأثير العقم على الأزواج من الناحية النفسية

العقم له وقع نفسي كبير و هو يسبب آلاما و عذابا. و يشبه الوقع النفسي لهذا التشخيص ردود الفعل الناتجة عن موت أحد الأولياء و غير ذلك من تجارب الفقدان و الحداد ، حيث تتميز عادة بالشعور بالصدمة و المفاجأة و الذهول و إنكار التشخيص و عدم تصديقه.

إضافة إلى الإنزعاج و الغضب و الميل إلى الإنطواء و الوحدة وظهور مشاعر الذنب و الحزن ثم يلي ذلك مرحلة التقبل و التسليم و الرضا بما يحدث.

و العقم يشكل أزمة حياتية معقدة ، تهدد كيان الإنسان و تشكل ظغطا إنفعاليا شديدا. فقد تظهر في شكل قلق و التوتر و الإكتئاب و القنوط واليأس و الشعور بالإخفاق و الفشل و نؤثر على العلاقة الزوجية.

و ترتبط الأساليب الحديثة في علاج العقم مثل التلقيح داخل الرحم، وأطفال الأنابيب بدرجات متفاوتة و متطلبات العلاج الجراحية وضرورة الإنتظار و تكرار المحاولات.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

و ترتبط ردود الفعل النفسية بدرجة التكيف في مرحلة ما قبل إجراء العمليات حيث نجد أن النساء اللائي كان تكيفهن ضعيفا، كانت ردودهن النفسية سلبية و شديدة بعد فشل المرحلة الأولى من العلاج. و قد إتصفت طريقة تفكيرهن بشدة التعلق بضرورة تحقيق الوظائف الأنثوية و متطلبات الأنوثة من حيث الإنجاب و غير ذلك. فعند علاج حالات العقم ينطلق المعالج من فكرة أنه يعالج أشخاص لديهم مشكلة العقم و لا يعالج العقم نفسه.

فالتوتر النفسي و ما يسببه من إضطرابات ، قد يكون سببا في فشل المحاولات العلاجية للعقم ، لذلك إبتكر المختصون طرقا للعلاج النفسي المتضمن علاج العقم نفسيا و طبيا و جراحيا. [10]

تأثير العقم على الحياة الزوجية

إن الزوج الذي بدون أطفال يعاني صعوبات نفسية، عاطفية وإجتماعية، و لا يهم من الذي هو العقيم الرجل أو المرأة. فالزوج عندما لا يستطيع إيجاد أهداف أخرى لحياته غير الأطفال. يحس بفراغ وجودي، كما أن قلق الموت يمكن أن يزداد لأن الخلف غير مؤمن، إضافة إلى أن الزوج العقيم يعيش صعوبات إجتماعية لأنه غير قادر على تحمل وضعيته، التي تقلقه خاصة المرأة التي تجد نفسها تعيش دائما مظطرة لتبرير هذه الوضعية [11].

و بما أن الفرد وحده نفسية و جسدية متكاملة، فهناك عدة إنعكاسات للعقم على معاش الزوج العقيم

قد يؤدي الخوف من العقم و بالأحرى التأكد هذا الخوف إلى مشاعر الفقدان في كل معانيها النفسية فالزوج يفقد شخص ليس له بعد ، أي وجود ملموس و لكنه مستثمر رمزيا بصورة كبيرة. ويفقد كذلك الأمل في الأبوة و الأمومة، و يفقد الفرد إحساسه بأنه شخص عادي.

و عند المرأة عادة ما يقترب هذا الفقدان الرمزي بفقدان ملموس كفقدانها الأمن في الحمل، و فقدان الأمل في الإنجاب الذي يتكرر مع كل دورة طمثية جديدة . كما أن مشاعر الفقدان هذه تؤدي إلى إستجابة إكتئابية يصحبها شعور بالذنب و عقلنة ملازمة لكل ماله علاقة بالخصوبة، وقد تكون هذه الإستجابة الإكتئابية خطيرة في بعض الحالات . [12]

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

تعتبر هذه المشاعر إستجابة عادية للعقم حيث أن الزوج يحس بالظلم ولذلك يتمرد على كل من يحيطون به، سواء أفراد العائلة، الأصدقاء، الأطباء ... لذلك نجد أن مثل هذه المشاعر يمكن أن تشوش على العلاقات الإجتماعية والطبية للفرد ، فهذه المشاعر قد تكون الطريقة الوحيدة التي يستطيع بواسطتها الزوج التعبير عن تمرده و رفضه لمصيره.إن عدم الإخصاب يعتبر سببا لظهور الضغط و هذا الأخير يمكن أن يؤدي إلى إضطراب الخصوبة الذي يؤدي إلى الحلقة المفرغة التي يعيشها الزوج التي تلعب دورا كبيرا في ظهور بعض مظاهر عدم الإخصاب أو في أن تصبح هذه المظاهر أكثر خطورة.

إن الحياة الجنسية للزوج العقيم لا تختلف كثيرا عن الحياة الجنسية للزوج الخصب. و قد تظهر الإختلافات عند أول إستشارة طبية يقوم بها الزوج العقيم ، بعدها عادة ما تكثر المشاكل الجنسية و تكون متساوية بين الرجال و النساء ، كما أن هذا التأثير قد يكون خطيرا في بعض الحالات.

من هذا المنطلق يمكن أن ندرج ثلاث حالات من الأزواج العقيمين في هذا الشأن :

فهناك من لا يتقبل الوضع نهائيا، بحيث يعيش في صراع نفسي مما يؤثر على تقدير الذات عندهم ، لكن الرجل بالرغم من عدم تقبله إلا أنه لا يظهر ذلك كونه يرى نفسه السيد الذي يبقى محتفظا بمكانته وسط العائلة لإظهار صموده و قوته و بالتالي فكليهما يعيشان هذه المشكلة كحرج نفسي في شخصيتيهما، إلا أنه يظهر عند المرأة أكثر من الرجل و لهدا تظهر عليها صفات غير طبيعية ، كالإكتئاب و الإنطواء والإنعزال و الكره للأطفال و المزاج العصبي لذلك تسعى لأي علاج تراه مناسبا لعقمها، فتلجأ إلى العلاج التقليدي بمختلف أنواعه دون توقف أو تردد ولا تتهاون حتى في الذهاب للدجالين و المشعوذين، فهمها الإنجاب بأي وسيلة.

هناك من الأزواج من يتقبل الوضع و يسلم به، لذا يعوضان ذلك النقص من خلال، العمل و ملىء وقت الفراغ بأشياء تنسيهما الفراغ الذي يسودهما في حياتهما الزوجية و لهذا يكبان على العمل بدون

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

إنقطاع. و منهم من يتقبلون الوضع و يعملون على إقناع زوجاتهم بالأمر الواقع و التسليم بقضاء الله و قدره و مواساتهن دائما.

هناك أزواج يتقبلون الوضع و لكن يظهر الألم النفسي عليهم بأشكال مختلفة و ذلك من خلال ظهور بعض الأمراض و هذا ما نلمسه خاصة لدى الزوجات الماكثات بالبيت ، بالرغم من تقبلها الوضع وعدم القدرة على التعبير عن آلامها و كتمانها للمعانات، هذا يجعلها عرضة للإصابة بالعقد النفسية و بمرض القلب و الإنهيار العصبي كونها تخفي اسرارها و مواجعها و لا تبوح بها.

كذلك الرجل فإنه يعيش الألم و يحس به و يظهر عليه ذلك بحيث يعبر عنه بطريقة غير مباشرة، بالرغم من أنه يعيش في وسط مجتمع يطلب منه أن يكون رمزا للقوة و الرجولة .

لكن صدمة العقم نفسيا يختلف وقعها من الرجل إلى المرأة ، فهي التي تتأثر أكثر و تتحسر أكثر من عدم قدرتها على إنجاب الأطفال أكثر من الرجل. لأنها ترى نفسها المسؤول الأول في العملية الإنجابية، كذلك لأن إحساس ضرورة تلبيه غريزة الأمومة يكون مطلبا ملحا و دائما لدى المرأة و يظهر ذلك واضحا للعيان فالمرأة تظهر حاجتها إلى الأطفال أكثر من الرجل. فالمرأة العقيمة تقصي نفسها أمام النساء المنجبات حتى و إن كابرت و تحدت الموقف و إحتفظت بهذا الإحساس لنفسها. إضافة إلى أنها تحس بأن حياتها الزوجية مهددة في كل لحظة ، فأن تعيش يوميا الإحساس بعدم الإستقرار النفسي نتيجة الشك في أنه يأتي يوم تنتهي عشرتها مع زوجها بالطلاق أو إعادة الزواج عليها . و هدا ليس بالشيء الهين ، و ينتج عن هدا الإحساس طبعا آثارا على المستوى النفسي و العضوي و على مستوى العلاقات مع زوجها و عائلتها و حتى بعلاقتها مع المحيطين بها. و يمكن أن يسيطر هذا الإحساس على المرأة حتى و إن كانت متأكدة من حب ووفاء زوجها لها فهي لا يمكن أن تطمئن لمستقبل حياتها الزوجية

الحالة النفسية للمرأة العقيمة

حين تتأكد المرأة من عقمها تكون له آثار نفسية كثيرة عليها، فهي تشعر بالدونية و الفشل و الخجل و بفقدان الثقة في هويتها كأنثى

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

لأنها غير قادرة على أداء مهمتها في الإنجاب و غير قادرة على أن تلبي نداء فطرتها في أن تصبح أما. و هذا يجعلها تتجنب الزيارات العائلية أو في الظهور في التجمعات حتى لا تسمع تعليقات أو تساؤلات جارحة أو ترى نظرات شماتة ممن تكرههم أو يكرهونها و تصبح شديدة الحساسية تجاه أي كلمة أو إشارة إلى موضوع الإنجاب و إلى نفسها عموما.

و أحيانا تشعر بالذنب تجاه زوجها خاصة إذا إعتقدت أنها السبب في حرمانه من أن يصبح أبا، و هذه المشاعر إذا تمخضت لديها فربما تدخل في طور الإكتئاب الذي يجعلها تبدو حزينة و منعزلة و فاقدة للشهية وفاقدة للرغبة في أي شيء و كأنها تقول ما معنى الأشياء إذا كنت قد حرمت من أهم شيء في حياتي كأنثى، و بالتالي فإن أي شيء بديل يبدو تافها باهتا.

بعض النساء العقيمات تزداد لديهن الأنانية و النرجسية و توجه مشاعرها نحو ذاتها فتهتم إهتماما زائدا تنتاب بعضهن رغبة جارفة في شراء الأشياء و إقتنائها فتدهب للسوق كثيرا و تشتري ملابس و أحذية ومقتنيات لا تحتاجها، و كأنها تعوض فراغها الداخلي الهائل.

و في أحيان أخرى تصبح المرأة غاضبة توجه عدوانها نحو الزوج وتعتبره سببا في شقائها إذا حرمها نعمة الإنجاب أو توجه عدوانها نحو أهلها و كأنها تتهمهم بأنهم السبب في أنها جاءت إلى هذه الحياة غير مؤهلة لدورها الأنثوي أو أن طريقتهم في التربية أثرت عليها فأصبحت عقيما. و هي في هذه الحالة تدخل في صراعات كثيرة مع من حولها و تصبح سريعة الإنفعال كثيرة الإشتباك لأتفه الأسباب، و ربما تصبح متسلطة على زوجها و جيرانها و أهلها. و المرأة العقيم كثيرا ما تشعر بفقدان السيطرة على نفسها و على إنفعالاتها و على كثير من أمور حياتها و هو شعور مؤلم للغاية [13].

و هي تتقلب بين اليأس و الرجاء في كل شهر، فهي تتوق إلبى حدوث الحمل مع كل دورة شهرية ثم تصاب بالإحباط مع حدوث الطمث، ويحدث هذا أيضا من أي عمليات علاجية تجريها فهي تتعلق بالأمل مع بداية إجراءات العلاجية ثم تنهار آمالها حيث تلوح في الأفق بوادر

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الفشل و يتكرر ذلك كثيرا مع كل تدخل علاجي. و مع هذا لا تستطيع التسليم أو التوقف عن المحاولات العلاجية لأن مطلب الإنجاب والأمومة من المطالب الفطرية شديدة الإلحاح.

و نظرا لإلحاح فكرة الإنجاب فإن المرأة تستغرق في تفاصيلها و مشاكلها طول الوقت و يأتي ذلك على حساب كل إهتماماتها أو هواياتها وأحلامها و بذلك يتقلص وجودها في هذه الدائرة الضيقة المغلقة وتضحي بالكثير من الأنشطة و الإهتمامات الممتعة و المفيدة . و يزيد من ذلك الإستغراق و الإنهاك ما تقوم به المرأة العقيم من إجراءات علاجية دوائية أو جراحية تستغرق وقتها و مالها فلا يبقى لديها وقت أو مال للإستمتاع أو التفكير في أشياء أخرى. و إذا كانت هذه المرأة تعمل فإنها تؤدي عملها في أدنى مستوياته غالبا.

أما العلاقة بينها و بين زوجها فتتسم بالتناقضات و التقلبات الكثيرة حيث تقربهما مشكلة العقم أحيانا لدرجة كبيرة فهما يعيشان وحدهما وتحوطهما تساؤلات أو إتهامات حول قدرتهما على أن ينجبا مثل بقية الناس أي أن الأزمة المشتركة توحدهما و تقربهما إلى درجة شديدة الحميمية، و لكن في أحيان أخرى تثور بداخل أحدهما أو كلاهما مشاعر عدائية تجاه الطرف الأخر على أنه السبب في المشكلة أو أنه يسعى للتخلي أو يلقي بالمسؤولية على شريكه أو لم يكن إيجابيا بدرجةكافية في البحث عن حل، و تشعر بعضهن بإنعدام العدل في هذه الحياة من الناس و من كل شيء و ربما تتساءل في مرارة في لحظات ضعفها " لماذا أنا بالذات " وبعدها تشعر بالذنب لأنها في موضع إعتراض على حكمة الله و قدرته فتزداد حزنا و غضبا في ذات الوقت [14].

و هناك ما يسمى بصدمة العقم ، و هي تحدث حيث تتأكد المرأة من إستحالة الحمل و هنا إما أن تزيد عدوانيتها، أو تلجأ إلى الإنسحاب و الإنطواء و الإكتئاب . و كثير من النساء يلجأون إلى " الإنكار" كحيلة نفسية دفاعية فتدعي حين سؤالها أنها لا تفكر إطلاقا في موضوع الحمل، و لا تتأثر به و أن معاناتها الجسدية الحالية ليست لها أي علاقة بهذا الموضوع. فتظهر هذه الأحاسيس السلبية المكبوتة في صور إضطرابات جسدية فتصبح المرأة تكثر من التردد على الأطباء .

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

و المرأة العقيم تجد راحة في الدخول في الفحوصات الطبية أو محاولات العلاج لأن ذلك أولا يشغلها عن المشكلة الكبرى التي لا تتحمل مواجهتها. و ثانيا، يعطيها عذرا أمام الناس فلا يلومونها على تأخر حملها. و ثالثا يثير إهتمام الزوج و الأهل بها، فتخف بذلك مشاعر النبذ و الإهمال التي تشعر بها. و يصاحب كل ذلك شعور بعدم الأمان و الخوف من المستقبل مع إحتمال هجر الزوج لها و زواجه من أخرى. و هذا الشعور الدائم بالقلق و عدم الأمان و الغيرة الشديدة من النساء الأخريات اللائي ينجبن ربما يؤدي إلى إستمرار العقم أكثر و أكثر، فإن حدث المحظور و تزوج الزوج و أنجب، فربما تحمل الزوجة العقيم وذلك بسبب تغير إنفعالاتها بعد زواج زوجها.

و هناك نماذج كثيرة لذلك أشهرها (سارة) زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام، و قد كانت عقيما لسنوات طويلة ثم قامت بتزويج السيدة "هاجر" من زوجها و بعد أن ولدت السيدة " هاجر"، حملت السيدة "سارة" مباشرة و هذا النموذج تعتبر دليلا قويا على قدرة العامل النفسي في حالات العقم .

ربما تشعر المرأة بأنها أصبحت قبيحة الشكل و تهمل مظهرها و تفقد الرغبة في العلاقة الزوجية و تراها غير ذات الفائدة ، و تفقد المعنى في بقية الأشياء

و هناك فريق من النساء يلجأن إلى التسامي برغبتهن في الحمل والأمومة فينخرطن في مجالات التدريس خاصة في رياض الأطفال أو التمرين أو كفالة الأيتام [15].

الحالة النفسية للرجل العقيم

إن الرجل يستجيب للعقم خلاف المرأة التي تريد الولد على الحقيقة، و تهفوا للإنجاب، و هذه رسالتها و حياتها، بينما الرجل يريد أن يكون له ولد من صلبه و يخلفه من بعده و يعقبه فالتكاثر عند الرجل في القيمة بينما التكاثر عن المرأة زيادة في النسل, و الرجل قد يكون عقيما فلا يتأثر إن لم يكن عنده ما يورثه و أما المرأة فتشعر أنها كالبنيان المعطل.16

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

إن الرجل بالرغم من عدم تقبله إلا أنه لا يظهر ذلك، كونه يرى نفسه السيد الذي يبقى مختفظا بمكانة وسط العائلة لإظهار صموده و قوته وبالتالي فكليهما يعيشان هذه المشكلة كحرج نفسي في شخصيتهما، إلا أنه يظهر عند المرأة أكثر من الرجل. و الرجل يعيش كذلك الألم ويحس به، و يظهر عليه ذلك بحيث يعبر عنه بطريقة غير مباشرة، بالرغم من أنه يعيش في وسط مجتمع يطلب منه أن يكون رمزا للقوة و الرجولة .

فالمشكلة بالنسبة للرجل أقل حدة لأن هناك إستعداد من المجتمع لتجاهل عجزه، و يفتح له المجال لتعويضات نفسية في مجالات عديدة كالثروة والكفاءة المهنية و المنصب.

لكن يبقى أن نذكر بأن حب الأطفال حاليا لم يعد يعوض حب الزوجة ، و لا تتوفق الحياة بين الزوجين لأنهما لم ينجبا. بل هناك معطيات أخرى في الحياة و في المجتمع أثرت على مستوى وعي و ذهنية و طريقة تفكير هؤلاء الأزواج حاليا، جعلت إمكانية إستمرار الحياة الزوجية بين الزوجين العقيمين واردة جدا. و في حالة فشل كل وسائل العلاج المتبعة، و بعد المرور من صدمة معرفة حقيقة عقمهم، و قبول الحقيقة يلجأون إلى حلول بديلة كالتبني أو كفالة طفل أو أكثر أو اللجوء للتلقيح الإصطناعي .

التصورات التي تتحكم في تحديد مكانة الزوج العقيم في المجتمع

مكانة المرأة العقيمة

إن مسعى المرأة المتواصل لتحقيق الأهداف الإجتماعية للفوز بالمكانة الإجتماعية جاء على حساب الكثير من أهدافها الإنسانية خاصة في المجتمعات المتخلفة[17]

فرغم سهولة وصول المرأة المنجبة لمكانتها في المجتمع، يمكن للمرأة التي لم تتزوج و بالتالي ليست لها أولاد أو تلك التي تزوجت لكن لم تتمكن من الإنجاب لأسباب متعددة، بسهولة كذلك قد يتنكر لها المجتمع و يلغي كل وظائفها و أدوارها الأخرى في المجتمع ، فتوصف المرأة العقيمة بالميت، أي تجسيد الوحدة الحقيقية.

وإذا كان حضور المرأة المنجبة حضورا مكثفا، فإن موقع المرأة العقيمة من كل هذا خاصة في المجتمعات التقليدية فهو وجود محتشم

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وبصعوبة، فيما يخص بعض الأدوار و التبادلات في ظل هذه الشبكة من العلاقات .[18]

فالمرأة العقيمة تعيش حالة عدم الأمن نظرا لإمكانية طلاقها أو أن يتزوج زوجها من إمرأة ثانية، و هذا يدل على أن العقم كان يلصق بالمرأة وحدها، فهي المسؤولة عنه في تصورهم .[19]

و المرأة العقيمة منقوصة القيمة مهما كانت جميلة، فوجود المرأة الإجتماعي كان مرهون بقدرتها على الإنجاب.

و من العوامل التي ساعدت على إستمرار هذه التصورات و الأحكام في مختلف المجتمعات خاصة المتخلفة منها و لحقبات تاريخية طويلة هي إنتشار الأمية بين فئات المجتمع المختلفة و التي تعتبر من مخلفات الإستعمار و عدم إنتشار الطب المتخصص.

كما أن بنية العائلة و سلطة أفرادها و تدخلهم في حياة الزوجين كان لها الدور الفعال في إستمرار هذه الأحكام القاسية التي تتهم المرأة عن ذنب لادخل لها فيه. فسلطة الوالدين كانت تعلو على سلطة الزوجين. و قد لا تسلم الزوجة من تهكمات و شتائم أم الزوج لها المتكررة بحكم الإقامة في نفس السكن العائلي.

و ما يبرر هذه الأحكام و التصورات بإتجاه المرأة هو عدم الشك في رجولة الرجل، لأن القاعدة العامة هي أن كل رجل منجب، بينما ليست كل إمرأة كذلك.

حتى النساء أنفسهن ساهمن وفق معطيات المحيط الذي يعيشون فيه ويتعايشون معه في إستمرار الحكم عن عدم فاعلية الجسد الأنثوي خارج مجال الإنجاب و عدم الإعتراف به. فالمرأة لا تشك في رجولة زوجها وقدرته الجنسية و لذلك لا تشك بأنه قد يكون سببا في عدم حدوث الحمل. و لكن حتى في حالة شكها في مسؤولية الزوج فلا يمكن أن تعترف بذلك حتى لزوجها نفسه فما بالك بالإعتراف بحقيقة عقم الزوج أمام الآخرين ووراء هذا النوع من التضحية من طرف الزوجة، نجد الوفاء للعشرة الزوجية و حب الزوج و الحفاظ على كرامته و عدم جرح كبريائه و المساس برجولته و تتحمل هي أن تنعت بكل النعوت.فالمرأة

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

في هذه الوضعية تقبل بمكانة زوجة عقيمة أحسن من وضعية مطلقة بسبب عقمها.

فلإكتمال و تحقيق مكانة "إمرأة" يجب أن تقترن بتحقيق مكانة "أم"، فوظيفة الإنجاب لها أهمية كبرى على مستوى علاقة النساء بالأمومة التي تعتبرها سلطة حين إكتسابها و هدفا حيويا حين يصعب الوصول إليها في حالة العقم.

مكانة الرجل العقيم

إن القدرة الجنسية و التخصيبية للرجل لا يمكن الشك فيها أو مهاجمتها لأنها مصرح بها، و ممنوحة لكل رجل مهما كان، أعزب، أرمل. و هذا الإعتقاد نجده سائدا عند الكثير من الناس و لازال.

فالقدرة و القوة الجنسية الرجولية أو الفحولة، و كأنها حقيقة لا يمكن التساؤل حولها في شكلها أو في مفهومها الطبيعي، فوظيفتها و منطقها المرتبط بالقوة الجسدية يجعل النظر للرجولة الجنسية و كأنها بديهية موجودة في جسد كل رجل . فالرجولة قد تحمل معنيين في نفس الوقت، الشجاعة و القوة و القدرة على القتال، أي الحق في العنف، و القدرة على السلطة للذين ليست لهم صفة الرجولة كالنساء و الأطفال. وثانيا الرجولة هي القدرة على العلاقات الجنسية الذكورية [20] فممارسة الختان على الذكور من مبرراته هو الوصول للذه الجنسية و من أجل القدرة على التخصيب و للصحة العضوية و هو كذلك طقس ينتقل فيه الذكر من وضعية جنسانية إلى وضعية أقوى من أجل الإندماج في المجتمع و تحضير جنس الذكر لكي تكون له رجولة مقبولة .[21]

ولكن رغم ذلك فالكثير من الرجال ليلة زفافهم يشعرون بنوع من الخوف لذلك هناك من يشرب الخمر و آخرون يتحضرون بقراءة القرآن، و هناك من يلجأون لبعض الطقوس كقضم خاتم من الفضة قبل الدخول على عروسه. و هذا الخوف خاصة بالنسبة للشباب الصغيري السن نوعا ما، لأن الثقل الكبير يعود في هذه الليلة و يلقى على عاتق الرجل. فليلة الزفاف لازالت تمثل و تعيد إنتاج أنواع التضحية التي تعني و تعبر عن الخضوع للنظام السائد و كذلك تمجيد و تعظيم القدرة الجنسية للرجل و

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

إعادة إنتاج قيم الجماعة. لكي يكون رجلا كبقية الرجال، له القدرة على تخصيب زوجته مستقبلا. [22]

فهناك إرتباط بين القدرة الجنسية و التخصيبية للرجل في تصور الكثير من الأفراد. لذلك نجد تكتم كبير إذا تعلق الأمر بمناقشة العقم عند الرجل. و الحقيقة العلمية أنه لا علاقة بين القدرة الجنسية و القدرة على الإنجاب، فليس كل رجل عقيم هو رجل عاجز جنسيا. لكن صحيح أن كل رجل عاجز جنسيا فهو عقيم. لأن من ضمن التعاريف الواردة حول العقم، هو عدم القدرة على التخصيب مع إكمال ممارسة العلاقة الجنسية و الإستمتاع بها.

هناك تصورات تعيد إنتاج نفس التصورات التقليدية حول مكانة الرجل العقيم، و التي ترى بأن الإقرار بعقمه فيه نوع من الحرج، لأن العقم يظهر عنده نوع من النقص في الشخصية و هذا يؤثر على مكانته داخل المجتمع

كما أن المجتمع يساهم في المحافظة على كرامة الرجل العقيم ، بالتصورات التي ترجع عدم قابلية فكرة عقم الرجل، و هي في الحقيقة راجعة لأعراف لا علاقة لها بالدين الإسلامي في المجتمعات العربية والإسلامية و حتى الإفريقية وحتى في المجتمعات الأوربية .و مع سهولة إتهام المرأة بالعقم في المجتمع حتى و إن كانت منجبة، فكل رجل في حالة عدم قدرتهما على الإنجاب يتمنى أن تكون زوجته هي العقيمة ، حتى لا يشكك في قدرته الجنسية و هذا ما يؤكده عدم تقبل الرجل العلاج و الإستجابة بسرعة في هذه الحالة .

كما أن عدم الإقتناع بأن الإصابة بالعقم هو مرض كبقية الأمراض قد يصيب الرجل كما يصيب المرأة جعل إستمرار هذا التكتم على موضوع عقم الجسد الذكري، لكي يحافظ دائما على مكانته كرجل داخل الجماعة. فتصبح هنا مكانة الرجل محفوظة حتى قبل أن يتزوج و ينجب. فمكانته مضمونة في نظر المجتمع حتى بدون وظيفة الإنجاب.

و نتيجة لهذه التصورات و الأحكام غير العادلة و التي لم تنصف المرأة، فكم من زوجة طلقت رغم أنها منجبة و كم من زوجة حرمت من رؤية أولادها من زوجها بسبب تعنته و رفضه الخضوع للعلاج ، و كم من

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

زوج أضاع أحلى سنين حياته الزوجية محروما من الأطفال. فهذه التصورات حول مكانة الرجل العقيم في المجتمع قد تخدم الجسد الذكري ظاهريا ، لكن مضمونا فهي تحرمه من نعم كثيرة.

أما فيما يخص تعامل المحيطين و نظرتهم للرجل العقيم ، فهناك من يحسسه بالنقص و العجز، و هناك من يعامله بشفقة و يتمنى أن يساعده و ربما فإن حكم المجتمع على الرجل العقيم يكون أقسى بكثير من حكمهم على المرأة العقيمة، لذلك نجد هذا التكتم و التهرب من مناقشة كل ماله علاقة بعقم الرجل، لأن عقم الرجل أمر من عقم المرأة.

فالرجل مكانته و كرامته محفوظة في كل الحالات ، أعزب، متزوج، أرمل، مطلق، منجب، عقيم، سكير

لكن ما يلاحظ في السنوات الأخيرة أي في العشرين سنة الأخيرة حسب المختصين في العلوم الإنسانية لاحظوا و إندهشوا للتطور في الغرب وحتى في الدول العربية و الإفريقية، تطور في القيم و الرغبات والسلوكات للرجال و النساء فيما يخص الرغبة في الإنجاب، هذه التطورات التي أثرت على تغير أحكام و تصورات الأفراد نحو الزوج العقيم ، الذي له مكانة ووضعية مقبولة بين المنجبين. و أثرت على الحد من المعاناة الإجتماعية خاصة و النفسية التي كان يعيشها الزوج العقيم خاصة النساء و هذا التطور في السلوكات و الرغبات الإنجابية نتج بفعل العديد من عوامل التغير المادية و المعنوية التي مست المجتمعات فأدت إلى تغير و تحول القيم و التصورات و الأحكام بإتجاه ظواهر عديدة في الإتجاه الإيجابي.

معنى ذلك أننا نلمس حقيقة توجه جديد نحو قراءة جديدة لوظيفة ووضعية و مكانة الجسد العقيم فالعلاقة بين الرجل و المرأة و التي يجب أن تعزز بالإنجاب، فهي مرتبطة بحتمية بيولوجية ليست كذلك إجتماعيا و ثقافيا ، بل هي قابلة للتغير و التطور فيجب أن ترتقي مع شريكها إلى حالة العلاقة الثقافية و الإجتماعية العقلانية.

لقد سقطت صورة أن ترى المرأة كإنسان له قيمته الذاتية بسبب قدرته على العطاء و الإنتاج و الإبداع وليس لكونه ملحق بالرجل فإن عليه أن تدرك حقيقة أساسية و هي أن عليها أن تتخطى الكتل الضخمة من

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

التقاليد و العادات السائدة منذ قرون. ونجاحها يستدعي تغيرات جذرية في بنيتها الفكرية و النفسية و كذلك في بنية الرجل الفكرية و النفسية. و يجب أن تدرك أن العادات و التقاليد كممارسات مكتسبة تخضع لظروف إقتصادية و إجتماعية، و لا تحمل أي نوع من القدسية على الإطلاق. و أن تطور نظام الحياة و تقدم وسائل و إرتقاء المنجزات يستدعي إرتقاءا و تطورا في كيفية التفكير الإنساني.

قائمـــــة المراجـــــع:

1 – – Georgin M, A – Magére ; La maternité ; MASSON Paris . P 65

السبيعي عدنان ، **سيكولوجية الأمومة** ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت 1975. ص 89 **2**

3 Deutsch – _ – 2 , La psychologie des femmes, Hélene – Maternité.P U F . Paris, 1949. p 256 .

4 *Ibid* , P 258.

5 M,Georgin ; op.cit . P 65

6 – Perron R–, **Genése de la personne** , P.U.F. Paris, 1985, P35

7_ Deutsch Héléne – , op . cit . P 256

8_ دياب فوزية ، **القيم و العادات الإجتماعية، مع بحث ميداني لبعض العادات الإجتماعية** ، دار النهضة العربية للطباعةوالنشر ، بيروت ، 1980.ص306

9_ المالح حسان ، **العقم و الطب النفسي، مجلة العربي**، العدد 429،1994 ص ص 171–174. 10_ المرجع نفسه ، ص 171.

11 _ Bourg Claudine – ,**Parent et enfants de la procréation, Réflexion Psychologique à propos d'un parcours médical : La pensé et les hommes, Les nouvelles familles** . Ed : de l'université de BRUXELLES.1966,P86

12 _ Herbaut Buvat –(M) et Buvat(J), **L'abord du couple infertile** in Encyclopédie Médicale–gynécologie–739–

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

paris-1990- P08.

13_ **المهدي محمد ، الآثار النفسية للعقم عند النساء، منتديات أفق العرب- جامعة الأزهر .موقع أنترنات**

14_ المرجع نفسه

15_ المرجع نفسه

16_ التميمي ناديا ، العقم وفق آراء شرعية وإجتماعية و نفسية وطبية ،صحيفة الجزيرة، ط1، العدد1011- السبت 04جوان 2000، صفحة التحقيقات

17_ الربيعي صاحب ، **تداعيات إمرأة في الزواج و الإنجاب، الحوار المتمدن** ، العدد 1424- 2006/01/08 .com .google

18- Zerari –Hayete,**Quête et enjeux de la maternité au MAROC**, thése de Doctorat en Anthropologie sociale et Ethnologie-Université de l'Ille III-juin 1993-P 111.

19_ Juleitte- ,**La femme dans le monde arabe**, Mince Ed : Mazarine,1980,P21.

20- Dossier **Le genre masculin n'est pas neutre .Revue travail-genre et société**,N°= 03 Mars-2000.Ed : L'HARATTAN .paris, P05

21_ Chebel Malek , **L'histoire de la circoncision ,des origines a à nos jours**,ED :LE NADIR ; BALLAD ; PARIS ;1992,P97

22_ Benslama Fethi - ,et Tazi Nadia-, **La virilité en Islam**,Ed de l'Aube-Paris-1989,PP13-14.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)